التفكير الناقد في المحاورات العقدية للخليل إبراهيم عليه السلام

إعداد:

د. ضاري عثمان الزهاميل

جامعة الكويت

أ.د/ جمال أحمد بادي

المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تستنبط معايير وخصائص التفكير النقدي في الحوارات العقدية للخليل إبراهيم –عليه السلام– التي وردت في القرآن الكريم، حيث إن ذلك يعتبر إسهاما في التكامل المعرفي بين العلوم، وتطويرا للدراسات البينية. وتظهر أهمية الدراسة في كونها تجمع بين علمي العقيدة والتفكير الناقد، فهي تجمع بين العلمين من خلال تحليل هذه المحاورات العقدية، وبيان تحقق معايير وخصائص التفكير الناقد فيها للاستفادة منها في محاورة المخالفين، والدعوة إلى التوحيد، وتعزيز ثقافة الحوار مع أفراد وطبقات المجتمع.

وتهدف الدراسة إلى إبراز أوجه استخدام التفكير الناقد في الحوارات العقدية للخليل إبراهيم عليه السلام. ومما تضيفه هذه الدراسة: إظهار أسبقية الشريعة الإسلامية في استخدام التفكير الناقد من خلال تحليل ومناقشة هذه المحاورات العقدية.

والمنهج الذي استخدمه الباحثان في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي لتتبع بعض أقوال المفسرين للمحاورات العقدية للخليل إبراهيم عليه السلام، بالإضافة إلى المنهج

التحليلي، وذلك بتحليل هذه النصوص، والتحقق من استخدام التفكير الناقد فيها. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها: تميز شخصية الخليل إبراهيم –عليه السلام– بالتفكير النقدي المتميز، وتجنب التقليد الأعمى والتحيز السلبي السائد في المجتمع. وأن من معايير التفكير الناقد التي ظهرت في المحاورات العقدية: الوضوح، والصحة، والدقة، والعمق، والربط، والاتساع، والمنطق، والتساؤل، والتأمل. كما أن من خصائص التفكير الناقد التي ظهرت: توفير نوع من المجادلة، والاهتمام بالاستنباط والاستنتاج، والاهتمام بوجهات النظر الأخرى، وطرح الأسئلة. وأن كثيرا مما يندرج تحت (التفكير النقدي) يدعو إليه القرآن الكريم، خصوصا من خلال عرضه لقصص الأنبياء، وحواراتهم مع أقوامهم. كما يوصي الباحثان بدراسة المحاورات العقدية للأنبياء، واستنباط كل معايير وخصائص التفكير الناقد، وتقنينها؛ للاستفادة منها، وتطبيقها في المحاورات العقدية، خصوصا مع المخالفين.

الكلمات المفتاحية: المناظرة، المحاورة العقدية، التفكير النقدي، الناقد، إبراهيم عليه السلام.

Abstract:

This study aims at deriving critical thinking characteristics and standards in the light of Prophet Ibrahim's dialogues pertaining to 'Aqidah which are mentioned in the Quran as means of integrating revealed knowledge and human science knowledge. The significance of the study is apparent in relating the science of 'Aqidah to critical thinking aspects through contextual analysis of the above-mentioned debates to clarify the manifestation of critical thinking standards in these selected Quranic verses, as to utilize it in contemporary dawah dialogues, to disseminate the message of Tawhid and to promote the culture of dialogue among Muslim communities. The added value of the study is to emphasize precedence of Quranic reveled texts in advocating critical thinking and its standards before the Western scholars embarked on.

The researchers applied inductive method by exploring the narrated scholastic exegesis regarding the selected verses then applying the analytical method to verify the Quranic promotion of critical thinking and the application of its standards which is acknowledged by contemporary authorities in the field.

The study came to some conclusions such as: that prophet Ibrahim peace be upon him is characterized with applying critical thinking standards in all his dialogues, avoiding fanaticism and bias. Another one is it clearly showed some important critical thinking standards such as: clarity, accuracy, depth, relevance and inquisitiveness. It also showed some of the critical characteristics such as: the need for promoting it as a culture, acquiring its tools such as inferring and concluding inquisitiveness and the ability to view issues from other people sides. Besides it showed the fact that Quranic text applied various aspects of what is emphasized by contemporary critical thinking studies through prophets' dialogues with their nations.

Finally, the study pointed out the need for studying the prophetic dialogues in the Quran for the purpose of finding out more critical thinking standards and its applications in debates and dialogues pertaining to Aqidah specially with opponents.

Key words: debate, Aqidah dialogue, critical thinking, prophet Ibrahim peace be upon him.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل على الحق حجة وبرهانا: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٦٥]، وطالب البرهان من كل من ادعى شيئا ليصدق فيما ادعاه: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:١١١]، وطالب المؤمنين بالتثبت والتبين قبل تصديق أي نبأ أو خبر يُنقل إليهم، تفاديا لإصدار حكم خاطئ في حق الآخرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[الحجرات: ٦]. وهي آية "ترشد المسلمين إلى عدم تصديق أي خبر ينقل إليهم، إلا بعد التأكد من صدقه؛ بالتريث والتفكير السليم، وهو ما يتضمن معنى المعرفة العقلية في أفضل وسيلة للإرشاد، تلك المعرفة التي تتجلى في كلمة واحدة فقط: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، كوسيلة إرشاد للمؤمن حتى يقي نفسه خطر الانزلاق في هاوية التفكير الخاطئ، وهذا إعجاز الحق عز وجل"(١).

يضاف إلى ذلك ميزة أخرى للأسلوب البياني في القصة القرآنية عموما أشارت إليها بعض الدراسات: حيث: "تعرض القصة القرآنية بأساليب خاصة للتوصل إلى التأثير النفسي، والعاطفي، والفكري، للمتدبر في القرآن الكريم"(٢).

ولذلك جاءت هذه الدراسة لبيان تحقق معايير وخصائص التفكير الناقد فيما ورد في الخطاب القرآني في قصص إبراهيم –عليه السلام– في محاوراته ومناظراته العقدية مع أبيه، وقومه، والنمرود، ليدعوهم إلى التوحيد، ويقيم الحجة الرسالية عليهم. كما يجد الدارس المتدبر لآيات القرآن الكريم –مسلما كان أو غير مسلم– دعوة القرآن له في مئات الآيات التي تتكرر: بالتفكر، والتدبر، والنظر، والتبصر، والتفقه، والتذكر،

---

(١) الجبوري، شروق. (٢٠١٣). "تصميم وتقنين مقياس للتفكير الناقد مستنبط من القصص القرآني". رسالة دكتوراه مقدمة لكلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ص٧٤، ٧٥.

(٢) المصدر السابق نفسه. وبناء على تأسيس هذه القاعدة جاءت الدراسة المذكورة، باستنباط مقياس للتفكير الناقد من مجموعة من قصص القرآن.

والتوسم، والاعتبار، والتيقن، والتحري، والتثبت، وغيرها من المصطلحات المرتبطة بالتفكير في أشكاله وأساليبه وصوره المختلفة(١).

"وقد وردت مشتقات الفعل (فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا؛ منها خمسة مواضع في الآيات المدنية، وثلاثة عشر موضعا في الآيات المكية، ... بل حوى القرآن على الكثير مما يدخل في باب التفكير وعملياته؛ فهناك (١٢٩) آية يدعو فيها القرآن إلى النظر، و(١٤٨) آية تدعو إلى التبصر، و(٤) آيات تدعو إلى التدبر، و(٧) آيات تدعو إلى الاعتبار، و(٢٠) آية تدعو إلى التفقه، و(٢٦٩) آية تدعو إلى التذكر، والآيات التي وردت فيها مشتقات العقل بالصيغة الفعلية هي (٤٩) آية. وكل هذا يؤكد على اهتمام القرآن بعملية التفكير، وأنها من أهم العمليات المؤدية إلى اكتشاف حقيقة التوحيد، ووجود الخالق وقدرته"(٢).

وكل ذلك من شأنه أن يؤسس ويعرض أصول ومعايير التفكير الناقد في الوحي المنزل الذي يحرك العقل البشري للوصول إلى الحقيقة من خلال البحث، والتنقيب، والفحص، والتساؤل، والاستنتاج(٣).

وإن القرآن الكريم قد فرق بين نوعين من المجادلة والمحاجة: إيجابية وسلبية؛ فأمر وشجع على الإيجابية منها، وحذر ونهى عن السلبية منها. قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران:٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٥٢]. قال صاحب التحرير والتنوير عن الآية التي فيها

(1) Badi, Jamal, Islam and Creative Thinking: Concepts and Issues, IIIT, 2018. Chapter 3, Pp.33-48.

(٢) العنود الشراري. (٢٠٠٨). أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمنطقة الجوف. رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم المناهج وطريق التدريس في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. ص٣٥-٣٦.

(٣) الكبيسي، عبد الواحد، حميد. (٢٠٠٦). دعوة للتفكير من خلال القرآن الكريم. عمان: دار ديبونو. ص ٢٠.

جدال إبراهيم–عليه السلام–للنمرود في سورة البقرة: "والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة، والتعصب، وترويج الباطل والخطأ"(١).

وتركز هذه الدراسة على بيان تحقق استخدام التفكير النقدي في الحجج البرهانية التي استعملها خليل الله إبراهيم عليه السلام، من خلال الحوارات العقدية مع: النمرود، وأبيه، وقومه، وفي حواره حول عدم استحقاق الأفلاك التي خلقها الله –تعالى– للألوهية، وانتهت بإثبات التوحيد، واستحقاقه سبحانه للألوهية وحده.

إن التفكير النقدي في قصة إبراهيم –عليه السلام– يتجلى لنا في أربعة مواقف حوارية عقدية ذكرها الله –تعالى– لنا في كتابه الكريم؛ هي: حواره مع النمرود في سورة البقرة، وحواره مع أبيه وقومه في عدم صلاحية الكواكب للعبادة في سورة الأنعام، وحواره مع أبيه آزر في سورة مريم، وحواره مع أبيه وقومه في حادثة تحطيم الأصنام وقد وردت في ثلاث سور؛ الأنبياء، والشعراء، والصافات.

فهذه أربعة مواقف حوارية عقدية؛ المحاجة فيها في شيء واحد؛ "وهو: توحيد الله جل وعلا، وإقامة الحجة القاطعة على أنه لا معبود إلا هو وحده"(٢)، ويحاول الباحثان تناول هذه المحاورات العقدية بالتحليل والمناقشة لمعرفة وبيان تحقق استخدام التفكير النقدي فيها، وكذلك إظهار وإبراز شخصية إبراهيم –عليه السلام– المتميزة بالتفكير الناقد.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث كونه خطوة نحو الدراسات البينية والتكامل المعرفي بين العلوم؛ فهو يجمع بين علمي العقيدة والتفكير الناقد، وهذا يسهم في تطوير الدراسات الإسلامية والإنسانية عموما؛ فإن المحاورة والمناظرة العقدية بين الأنبياء وأقوامهم لها مكانة خاصة في القرآن الكريم، وهي طريق لإثبات الحجة الرسالية وإقامة التوحيد،

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر، ج:٣، ص:٣٤.

(٢) محمد الأمين الشنقيطي. (١٤٢٦هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١. ج:٤، ص:٣٦٠.

وتمثل محاورات ومناظرات خليل الله إبراهيم –عليه السلام– الأربع المشار إليها آنفا نموذجًا واضحا لذلك. كما أن التفكير الناقد احتل أهمية كبيرة في الآونة الأخيرة وأصبح مقررا دراسيا في العديد من الجامعات. فتحاول الدراسة أن تجمع بين العلمين من خلال تحليل هذه المحاورات العقدية وبيان تحقق معايير التفكير الناقد فيها للاستفادة منها في محاورة المخالفين، والدعوة إلى التوحيد، وتعزيز ثقافة الحوار مع أفراد وطبقات المجتمع في سبيل الوصول إلى إظهار الحق، وبيان الحجة.

أسئلة البحث:

١. ما مدى تحقق استخدام التفكير الناقد في الحوارات العقدية للخليل إبراهيم –عليه السلام– الواردة في القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

١. إظهار وإبراز استخدام التفكير الناقد في الحوارات العقدية لنبي الله إبراهيم عليه السلام.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات سابقة تُعنى بالتفكير أو التفكير الناقد بشكل عام، أو مناظرات نبي الله إبراهيم –عليه السلام– عموما، ولكن لم يقف الباحثان على دراسة متخصصة في الكشف عن تحقق استخدام التفكير الناقد في الحوارات العقدية لنبي الله إبراهيم عليه السلام[١].

ما يضيفه البحث:

يحاول الباحثان الإسهام في الدراسات البينية والتكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والإنسانية عموما، بالإضافة إلى إظهار أسبقية الشريعة الإسلامية في استخدام

(١) عرضت الباحثة العنود الشراري خمسة عشر دراسة جمعت بين التفكير الناقد والعلوم الشرعية عموما ليس من بينها ما يتعلق بموضوع بحثنا. العنود الشراري، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات التفكير الناقد، ص٦٧–٧٩.

التفكير الناقد من خلال تحليل ومناقشة المحاورات العقدية لأنبياء الله في القرآن الكريم، وتحديدا نبي الله الخليل إبراهيم عليه وعليهم أفضل الصلاة السلام.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث منهجا استقرائيا لتتبع بعض أقوال المفسرين للمحاورات العقدية الأربع لنبي الله إبراهيم –عليه السلام– الواردة في القرآن الكريم، بالإضافة إلى المنهج التحليلي، وذلك بتحليل هذه النصوص والتحقق من استخدام التفكير الناقد في هذه المحاورات العقدية.

خطة البحث:

تم ترتيب هذه المحاورات بحسب ورودها في المصحف الشريف، كما أسبقنا ذلك بتمهيد أوضحنا فيه بعض المصطلحات، ومبحث عرضنا فيه مفهوم التفكير النقدي. فكانت خطة البحث كالتالي:

المقدمة: وذكرنا فيها خطة البحث.

التمهيد: وضحنا فيه بعض المصطلحات: الحجة، والمحاجة، والمناظرة.

المبحث الأول: مفهوم التفكير النقدي.

المبحث الثاني: المحاورات العقدية للخليل إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مُحاورة إبراهيم–عليه السلام–والنمرود.

المطلب الثاني: مُحاورة إبراهيم–عليه السلام–لأبيه وقومه في عدم صلاحية الكواكب للعبادة.

المطلب الثالث: مُحاورة إبراهيم–عليه السلام–وأبيه آزر.

المطلب الرابع: محاورة إبراهيم–عليه السلام– لأبيه وقومه وتحطيمه الأوثان.

الخاتمة: ذكرنا فيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

يُعنى هذا التمهيد بتوضيح بعض المصطلحات الواردة في البحث؛ وهي: الحجة، والمحاجة، والمناظرة.

أولا: تعريف الحجة والمحاجة لغةً واصطلاحا:

تُعرف الحجة في اللغة بأنها: البينة، أو الدليل، أو البرهان، الذي يستخدمه الشخص لإثبات صحة قول أو فعل معين. "وَالْحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ"(١).

أما اصطلاحًا، فالحجة هي: "اسم لكل ما يبين الحق ويظهره"(٢).

والمحاجة من مرادفات المناظرة، وهي من استعمالات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾[الأنعام: ٨٠].

ولغة(٣): المحاجة مأخوذة من الحج، وأصل الحَجُّ: (الغلبة بالحُجة)، يقال: حجَّه حجًّا إذا غلبه على حجَّته. وفي الحديث: "فحجَّ آدم موسى"(٤)، أي: غلبه بالحجة. والحج: كثرة الاختلاف والتردد، تقول: حججت فلانا إذا أتيته مرة بعد مرة. ومنه: حج البيت؛ لأنهم يأتونه كل سنة، ويترددون إليه.

---

(١) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج:١، ص١٢١.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف الحمد، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ، ج:١، ص:٢٥.

(٣) الفيومي، المصباح المنير، ج:١، ص١٢١؛ الغامدي، عبد الله بن محسن، مناظرات ابن تيمية العقدية جمعا ودراسة وتحليلا، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، ص٤٠.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة "مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي". ط:١. ج٤، ص١٥٨، حديث رقم:٣٤٠٩.

وقد ذكر ابن فارس من معاني (الحج): القصد، ثم قال: "وممكن أن يكون الحجة مشتقة من هذا؛ لأنها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب. يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج"(١).

واصطلاحًا: "المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما يجتهد في إقامة الحجة على ذلك"(٢). ويمكن تعريفها أيضا بأنها: "مجموعة القضايا المقدمة في سند قضية ما، أو بمعنى آخر، هي مجموعة الادعاءات (المقدمات)، المراد بها التدليل على ادعاء ما (النتيجة)، حيث المقدمات هي القضايا الداعمة، والنتيجة هي القضية أو القضايا الرئيسة المراد دعمها"(٣).

ثانيا: تعريف المناظرة لغة واصطلاحا:

قال ابن فارس: "النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه"(٤). وقال الراغب: "المناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته"(٥).

أما اصطلاحا؛ فالمناظرة هي: "المواجهة الكلامية بين اثنين فأكثر لإثبات كل منهما مقتضى نظره فيما اختلفا فيه بالحجة والدليل"(٦). وعرفها بعضهم بقوله: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب"(٧).

---

(١) ابن فارس، أحمد القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج:٢، ص:٣٠.

(٢) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص:٦٩.

(٣) صالح يس، عمرو. (٢٠١٥). التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ص٨٥.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج:٥، ص:٤٤٤.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق–بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ، ص:٨١٤.

(٦) الغامدي، مناظرات ابن تيمية العقدية جمعا ودراسة وتحليلا، ص:٣٥.

(٧) عثمان علي حسن، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ج:١، ص:٢٨.

المبحث الأول

مفهوم التفكير النقدي

بعد قرون من هيمنة المنطق الصوري على الفكر الغربي، وبعد العناية المتزايدة بالتفكير في مجالات البحث العلمي، في النصف الثاني من القرن العشرين، حصل تحول في مقاربات مفكريهم للتعاطي مع المنطق من جهة التسمية ومن جهة المحتوى. وذلك بتركيز اهتمامهم على الجانب العملي التطبيقي من المنطق، سواء من جهة المهارات، أو من جهة المعايير، أو من جهة أساليب التفكير، وهو ما اصطلحوا على تسميته: "التفكير الناقد".

وبشكل إجمالي نلاحظ اختلاف الباحثين في تحديد تعريف مجمع عليه للتفكير الناقد، نتيجة اختلافهم حول مفهوم المصطلح، وتنوع منطلقاتهم النظرية حوله، لذلك تباينت عباراتهم؛ حيث يرى بعض الباحثين أن أول محاولة لتعريف التفكير الناقد تتمثل في تعريف جون ديوي سنة ١٩٣٨م، حيث عرفه أنه: (تفكير تأملي مرتبط بالمعتقدات، وقائم على أساس واقعي مُدّعم بالاستنتاجات).

وهناك من عرفه على أنه: (عملية عقلية ذات نشاط معالج للمعلومات والخبرات المكتسبة السابقة وغيرها، للوصول إلى الهدف، وإصدار الأحكام، وتذليل العقبات التي تواجهه). وهناك من ربط بين أساليب التفكير المختلفة؛ وسمات الشخصية، أما منظمة التفكير الناقد بأمريكا فقد نحت منحى آخر؛ حيث أشارت إلى أنه: (فن تحليل وتقييم التفكير الذي ترافقه نظرة نحو تطويره، فهو تفكير في إدارة الذات، ومراقبتها، وضبطها، وتوجيهها، ويستلزم وجود معايير واضحة، وضابطة لتطبيقها). فيما يراه آخرون أنه: (التحقق بتمهل من صحة المعلومات والبيانات الواردة قبل إصدار الأحكام بشأنها)[١].

---

(١) انظر لجميع التعريفات السابقة: الجبوري، تصميم وتقنين مقياس للتفكير الناقد مستنبط من القصص القرآني، ص ١٥-١٨ بتصرف؛ العنود الشراري، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمنطقة الجوف، ص٣١-٣٤. وتوجد ورقة بحثية منشورة بعنوان: "التفكير الناقد"، للباحثتين: عفاف الشمري، وهياء آل الرشيد، منشورة بالمجلة العربية للنشر العلمي (ajsp) في آذار مارس ٢٠٢١م.

ومن تعريفاته أيضا أنه: "التفكير المتأمل المعقول الذي يحوي حكما واستدلالا، ويعتمد على قاعدة معلوماتية؛ تزن، وتقدر، وتنتج سلوكا؛ بِناءً على تحديد المشكلة، واختيار المعلومات، وتشكيل الفرضيات، والتي تبنى على فحصها استنتاجات وأحكام"(١). ثم اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد مهارات التفكير الناقد والتي أهمها: الاستدلال، والاستنباط، والتفسير، والتقويم، وغيرها(٢).

أما معايير التفكير الناقد فإنه يقصد بها: "تلك المواصفات العامة المتفق عليها لدى الباحثين في مجال التفكير، والتي تتخذ أساسا في الحكم على نوعية التفكير الاستدلالي أو التقويمي الذي يمارسه الفرد في معالجة الموضوع"(٣). وقد ركزت ليندا إيلدر –خبيرة التفكير الناقد الأمريكي المتخصص– على اعتبار معايير التفكير الناقد كوسيلة لتعريفه.

وأهم تلك المعايير: الوضوح، والدقة، والعمق، والسعة، والإحكام، ووثاقة الصلة، والعمق، والتميز، والإنصاف، والاتساق، والكفاية، والواقعية، والأهمية، والتفصيل، والأصالة، والعدل، والملاءمة(٤). واختار ريتشارد باول –أستاذ التفكير الناقد الأمريكي– أن يعرف التفكير الناقد بقوله: "هو فن تحليل وتقويم التفكير، مع نظرة لتطويره. ويتضمن التقييم الذاتي المنضبط لضمان الوضوح، والدقة، والإنصاف في الاستدلال"(٥).

---

(١) نقله البكر عن أنمار. البكر، رشيد بن النوري. (٢٠٠٤). مدى تنمية معلم العلوم الشرعية لمهارات التفكير الناقد لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية. رسالة الخليج العربي. س٢٥، ع٩١، ص١٢٢.

(٢) انظر لعدد من النماذج لمهارات التفكير الناقد: المرجع السابق، ص١٢٤–١٢٧.

(٣) العنود الشراري، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات التفكير الناقد، ص٤٥.

(4) Linda Elder and Richard Paul: Intellectual Standards, Foundation for Critical Thinking, CA, 2008, P.12

(٥) الجبوري، تصميم وتقنين مقياس للتفكير الناقد مستنبط من القصص القرآني، ص ١٥–١٨ مرجع سابق.

ويتضح من التعريفات السابقة، تأثير تقرير (مجموعة دلفي Delphi) التي اعتمدت تعريف التفكير الناقد باعتبار مهاراته المعرفية الست: (١) التفسير، (٢) والتحليل، (٣) والتقويم، (٤) والاستدلال، (٥) والشرح (٦) والتنظيم الذاتي[1].

التعريف المختار للتفكير الناقد:

بعد مراجعة تعريفات التفكير الناقد، يمكن القول إنه: (عملية عقلية تعتمد على فهم وتحليل وتقييم ونقد المعلومات بطريقة منظمة، ووفق معايير علمية، للوصول إلى إصدار أحكام أكثر موضوعية). **وإن أهم العناصر المشتركة بين التعريفات: تحليل الأفكار ب**فهم، وتفكيك الأفكار أو الحجج إلى مكوناتها الأساسية، **وتقويم الأدلة والحجج، وسلامة الاستدلال، ومجانبة التحيز، وتأمل المسلمات، وإصدار أحكام هادفة، وتكوين رأي مبني على استدلال سليم.**

(1) The California Academic Press, 217 La Cruz Ave., Millbrae, CA 94030. 1990,

المبحث الثاني

المحاورات العقدية للخليل إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم

هذه المحاورات العقدية -كما سبق بيانه- تم ترتيبها حسب ورودها في المصحف الشريف، وسيتم تقسيمها إلى أربعة مطالب بحسب المحاورات وسياقها؛ محاورة مع النمرود في إثبات وجود الخالق وقدرته الشاملة، ومحاورة مع أبيه وقومه في عدم صلاحية الكواكب للعبادة، ومحاورة مع أبيه آزر في عدم صلاحية الأصنام للعبادة، ومحاورة مع أبيه وقومه وتحطيمه للأوثان.

المطلب الأول

محاورة إبراهيم-عليه السلام-للنمرود

تُعد المناظرة العقدية بين نبي الله إبراهيم -عليه السلام- والنمرود أحد أهم القصص القرآنية، حيث إنها تمثل نموذجًا فريدًا للداعية في استخدام الحجة الرسالية لإثبات الحق، والدعوة إلى التوحيد. وقد وردت هذه المناظرة في سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة:٢٥٨].

كما وردت تفاصيل إضافية عن هذه المناظرة في السنة النبوية، حيث قال أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه: العظمة عن: "ابن زيد بن أسلم، في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾[البقرة:٢٥٨] قال: هو نمرود بن كنعان، وكان بالموصل، والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت. فيقول أميروهم، فلما دخل إبراهيم -صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما كثيرا- ومعه بعير، خرج يمتار لولده. قال: فعرضوهم كلهم فيقولون: من ربك؟ فيقولون: أنت.

فيقولون: أميروهم، حتى عرض إبراهيم–عليه السلام– مرتين فقيل: من ربك؟ فيقول: ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، إن شئت قتلتك وأمتك، وإن شئت استحييتك. فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فقال: أخرجوا هذا عني، فلا تميروه شيئا، ...". الحديث(١).

ومن خلال ذلك يمكن فهم سياق المناظرة، حيث كان النمرود ملكًا جبارًا ادعى لنفسه الربوبية، وزعم أنه قادر على التحكم في حياة الناس وموتهم. قال ابن كثير: "يذكر –تعالى– مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل عليه دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجة، وأوضح له طريق المحجة"(٢). وهذا يقودنا للنظر في البراهين التي استخدمها نبي الله إبراهيم –عليه السلام– لإقامة الحجة على النمرود، ومحاولة تحليل معايير التفكير الناقد التي استخدمها. وفيما يلي تفاصيل هذه الحجج:

١. حجة الإحياء والإماتة:

عندما سأل النمرود إبراهيم –عليه السلام– عن ربه، أجاب بكل وضوح ودقة بأن ربه هو الذي يحيي ويميت ﴿... إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ...﴾. وهذا الرد يشير إلى أن القدرة على الإحياء والإماتة هي من خصائص الله تعالى: ولا يمكن لأي إنسان أو مخلوق آخر أن يدعي هذه القدرة الإلهية، مما يكشف زيف ادعاء النمرود للربوبية.

---

(١) أبو الشيخ الأصفهاني، عبد الله بن محمد الأنصاري. (١٤٠٤هـ). العظمة. تحقيق: رضاء الله المباركفوري. الرياض: دار العاصمة، ط١. ج:٤، ص:١٥٠٩ – ١٥١٠، حديث رقم: (٩٨٥).

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٦٨). قصص الأنبياء. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. القاهرة: مطبعة دار التأليف، ط١. ج:١، ص:١٨٧.

قال ابن كثير في تفسيره: "وكأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"[١]. فهذه حجة من نبي الله إبراهيم –عليه السلام– ضرورية فطرية على وجود ربه سبحانه؛ فإن الذي أوجد هذه المخلوقات المشاهدة، وأحياها، وأخرجها من حيز العدم إلى الوجود، والذي يعدمها بعد وجودها، هو الله الخالق المحيي المميت. فإن هذه المخلوقات لم تخلق صدفة، ولم تخلق هي نفسها، فكل ذلك مستحيل؛ لأنه مناقض للمبادئ العقلية الضرورية، ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

٢. حجة تدبير الشمس والقمر:

عندما كابر النمرود حجة الإحياء والإماتة، وأراد التلبيس، وادعى أنه هو أيضا يحيي ويميت، ألزمه سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بلازم قوله[٢]؛ فإن الذي يحيي ويميت هو المتصرف المسخر للكون بما فيه، ومن كان كذلك؛ فإنه قادر على أن يأتي بالشمس من غير مكان خروجها المعتاد، فإن كنت إلها كما تزعم؛ فأت بها من المغرب،

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢. ج:١، ص:٦٨٦.

(٢) يرى بعض العلماء بأن إبراهيم–عليه السلام–انتقل من حجة إلى أخرى بسبب مكابرة الخصم في الحجة الأولى، وخالفهم ابن القيم وابن كثير وغيرهما في ذلك، حيث يرون أن ما جاء به إبراهيم بعد مكابرة الخصم إنما هو استمرار للحجة الأولى، وإلزام للخصم بلازم قوله، وليس انتقالا لحجة ثانية. وعلى كل حال؛ فالمقصود هنا الاستفادة من هذه المناظرة العقدية في معرفة معايير التفكير الناقد التي استخدمها الخليل عليه السلام. ابن القيم. (١٤٣٢هـ). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١. ١٣٩٩/٣ – ١٤٠١؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:١، ص:٦٨٦.

فانقطع عن الجواب، وقامت عليه الحجة، ﴿... إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ...﴾. فبهت الذي الكفر، أي: انقطع، وخُصِمَ، وذهبت حجته، ولحقَه البهت بإقامة الحجة عليه(١).

قال ابن القيم: "فلمَّا ادعى الكافرُ أنه يفعلُ كما يفعلُ الله، فيكونُ إلهًا مع الله، طالَبه إبراهيمُ بمُوجَب دعواه مطالبةً تتضمَّنُ بطلانَها، ... وهذا برهانٌ لا يقبلُ المعارضةَ بوجه، وإنما لبَّس عدوُّ الله، وأوهمَ الحاضرين أنه قادرٌ من الإحياء والإماتة على ما هو مماثلٌ لمقدور الربِّ تعالى، فقال له إبراهيم: فإن كان الأمرُ كما زعمتَ؛ فأرِني قدرتَك على الإتيان بالشمس من المغرب، لتكون مماثلةً لقدرة الله على الإتيان بها من المشرق"(٢).

فمن خلال هاتين الحجتين، تمكن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من دحض ادعاء النمرود للربوبية، وإثبات الحق بالدليل والبرهان الذي أبطل ألوهية من لا يحيي ولا يميت، ولا يملك التصرف بالكون، وبتسخير الشمس والقمر.

قال السعدي: "...، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته، ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل، فقال إبراهيم: {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق} أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر: {فأت بها من المغرب}، وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد. (٢٠٠٦). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: نظر محمد الفاريابي. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١. ج:٨، ص:٢٠٠؛ ابن عبد البر، يوسف. (١٤٣٥هـ). جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: أبو الأشبال الزهيري. السعودية: دار ابن الجوزي، ط١١. ج:٢، ص:١٤٠.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج:٣، ص:١٣٩٩ – ١٤٠٠. وانظر: ج٣، ص:١٤٠١.

له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا يقدح في سبيله {بهت الذي كفر} أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا، وانقطعت حجته، وسقطت شبهته، .."[١].

فهذه المناظرة العقدية في إثبات وجود الرب، وتفرده بالخلق والتدبير، هي من باب الاستدلال بالربوبية الذي يلزم منه استحقاق الألوهية، فسيدنا إبراهيم –عليه السلام– يذكر النمرود بالمبادئ الضرورية الفطرية مثل: مبدأ السببية بأن هذه المخلوقات لها مسبب أول، وهو الذي أحياها وأماتها، وهذه الكواكب العظيمة لها متصرف يدبرها وهو الله جل جلاله، فكيف تدعي الربوبية بعد ذلك؟ فالواجب عليك أن تعبد الله المستحق للعبادة سبحانه.

وتتمثل لنا في هذه المحاورة والمناظرة العقدية معايير التفكير الناقد، ففيها:

١- **الوضوح والصحة والدقة،** وهذه ثلاثة معايير في قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾. عبارات واضحة مفهومة، وصحيحة في ذاتها، ودقيقة تعبر عن حقائق ثابتة فطرية ضرورية بلا زيادة ولا نقصان. ولكن النمرود أراد أن ينتقل إلى السفسطة، والمكابرة، والعناد، أو التلبيس، وإطالة الجدال، والمناظرة بلا طائل. فيستفاد من ذلك: الدقة والوضوح في إجابة الخصم أثناء المناظرة العقدية، وعدم الحيدة عن السؤال، أو الإجابات الفضفاضة المحتملة غير الدقيقة التي تعطي الخصم مجالا للمجادلة، ومحاولة البحث عن أي ثغرات ممكنة.

٢- **الربط؛** وذلك للعلاقة بين سؤال الملك والحقيقة في جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام. فينبغي –وفق معايير التفكير الناقد– الربط بين سؤال الخصم والجواب عليه. وقد نقل القرطبي عن السدي أن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ كان جوابا عن سؤال الملك: من ربك؟ وقد جزم بذلك الشيخ ابن

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص:١١٣.

عثيمين[1]. قال الطوفي: "إبراهيم لما دعا نمرود إلى الإيمان، قال له [أي: النمرود]: من ربك هذا الذي تدعوني إليه؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت؛ أي: فهو أحق بالعبادة منك، وواجب عليك أن تعبده؛ لأنه يقدر على ما لا تقدر عليه، وهو الإماتة والإحياء"[2]. فكان في كلام إبراهيم –عليه السلام– الجواب المباشر المتعلق بسؤال الملك والذي يتضمن الدليل على هذا الجواب أيضا.

٣- **العمق والاتساع، وهذان معياران، ويعنيان: الأخذ بجميع جوانب الموضوع (الاتساع)، وعدم السطحية في حل الإشكاليات (العمق)**؛ فإن إبراهيم –عليه السلام– بعد تعنت الملك ومجادلته بالباطل حيث قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ لم يستمر معه إبراهيم –عليه السلام– في إثبات أن الذي أنشأ الموت والحياة هو الله وليس أنت أيها الملك، وأن ما تفعله ليس إلا فعل ما يكون سببا للحياة، أو سببا للموت، لا إنشاء الموت والحياة، وإنما انتقل مباشرة لإلزامه بكلامه الذي قاله، فالمناظر لا يكون سطحيا في محاورته، فيعقد المحاورة، ويزيدها إشكالا وغموضا ومخاصمة، بل يتعمق في حل المشكلة بما يفيد انقطاع الخصم. ولذلك أخذ إبراهيم –عليه السلام– بجميع جوانب الموضوع، وعرف لب المشكلة وهو ادعاء الألوهية، وعزم على تحطيم هذا الزعم الباطل بالحجة والبرهان، فلم يقتصر على حجة واحدة من الحجج وهي الإحياء والإماتة ليجادل فيها فتخرجه عن أصل الموضوع ولب المشكلة. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وقد عدل إبراهيم عن الاعتراض بأن هذا ليس من الإحياء المحتج به، ولا من الإماتة المحتج بها، فأعرض عنه لما علم من مكابرة خصمه، وانتقل إلى ما لا يستطيع الخصم

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢. ج:٣، ص:٢٨٥؛ ابن عثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢٣هـ). تفسير الفاتحة والبقرة. السعودية: دار ابن الجوزي، ط١. ج:٣، ص:٢٧٩.

(٢) الطوفي، نجم الدين الحنبلي. (١٩٨٧). عَلَم الجذل في علم الجدل. تحقيق: فولفهارت هاينريشس. فيسبادن ألمانيا: فرانز شتاينر. ص:١٠٥.

انتحاله، ولذلك بهت، أي عجز ولم يجد معارضة"[١]. وقال القرطبي: "..، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، وجاءه بأمر لا مجاز فيه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي انقطعت حجته ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق، لأن ذوي الألباب يكذبونه"[٢]. فإذن كان سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عميقا في تفكيره، وقد وفقه الله –تعالى– لحل تعقيدات الإشكالية التي حاول الخصم إقحامه فيها، فقد واجهه بحقيقة دامغة لا مفر منها ولا محيد، ولا يمكن دفعها ولا المجادلة فيها؛ فبما أنك أنت الإله كما تزعم وأنك تحيي وتميت كما تدعي، فالإله الذي يحيي ويميت هو الذي يأتي بالشمس من المشرق؛ فأت بها من المغرب، فدمغته الحقيقة، و﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾. فقد كان نبي الله إبراهيم – عليه السلام– منطقيا في انتقاله من حقيقة الإحياء والإماتة إلى حقيقة التحكم بشروق الشمس وغروبها، ليثبت للملك أن الإله واحد، وهو إلهي وإلهك. فكانت مناظرته منظمة ومتسلسلة، وانتقل من حجة إلى أكبر منها[٣] من الحجج المعقولة التي لا ينكرها أحد إلا أن هذا الملك أرداه تكبره وتعنته إلى أن يُبهت، ويعجز، ولا يحار جوابا، "﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي: تحير، واندهش، ولم يحرِ جوابًا؛ فغلب إبراهيم الذي كفر؛ لأن وقوف الخصم في المناظرة عجز"[٤].

وهكذا تتجلى ولاية الله لرسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، فقبل هذه المحاورة قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:٣٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:٣، ص:٢٨٦.

(٣) على قول بعض العلماء بخلاف ابن القيم وابن كثير وغيرهما، كما سبق بيانه.

(٤) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، ج:٣، ص:٢٨٠.

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، وهذه المحاورة مثال ظاهر، وواقعة شاخصة، تبين ولاية الله للمؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام، وهدايتهم لنوره سبحانه وتعالى.

قال صاحب التحرير والتنوير: " وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تذييل هو حوصلة الحجة على قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾، وإنما انتفى هدي الله القوم الظالمين؛ لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع، إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره"(١).

وهذا ما حصل من النمرود الظالم لنفسه ولغيره، فطمس الظلم بصيرته، وحال بينه وبين التفكر والتدبر في الحجج الدامغة، والآيات الباهرة التي وفق الله لها إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني

محاورة إبراهيم-عليه السلام-لأبيه وقومه في عدم صلاحية الكواكب للعبادة

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةًۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:٣٤.

﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

بداية قول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في المواضع الثلاثة، هل المقصود به أنه يظن ربوبية تلك الكواكب، أم المقصود أنه يقول هذا ربي في زعمكم الباطل؟ أي: هل كان ناظرا أم مناظرا؟

حرّر الإمام الشنقيطي المسألة فنفى الاحتمال الأول وبيّن صحة الثاني؛ وعلّل ذلك بأن الله سبحانه نفى الشرك الماضي عن إبراهيم –عليه السلام– فقال: {وما كان من المشركين} في عدة آيات، وهذا النفي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت بذلك أنه لم يقع منه شرك يوما ما، وأنه قال ذلك موقنا بعدم ربوبية غير الله، مناظرا ومحاجا لهم(١). قال القرطبي نقلا عن الزجاج: "قال جل وعز: {إذ جاء ربه بقلب سليم}، أي لم يشرك به قط"(٢).

فإذن تأويل قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾:

- إما أنه يقصد: (هذا ربي في زعمكم الباطل). ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ وهو –عز وجل– واحد لا شريك له، والمعنى: أين شركائي على قولكم. وكذلك نظيره قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أي: عند نفسك(٣).

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ج:٢، ص:٢٣٦-٢٣٧.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:٧، ص:٢٦.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:٧، ص:٢٦-٢٧.

- أو يكون معناه: أهذا ربي؟ مستفهما منكرا عليهم. وحذفت أداة الاستفهام. ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أي: أفهم الخالدون؟(١).

والقول بأن إبراهيم–عليه السلام–كان مناظرا لا ناظرا هو قول الجمهور، قال محمد رشيد رضا: "وهو الذي جزم به الجمهور من أنه كان مناظرا لقومه، فقال ما قال تمهيدا للإنكار عليهم، فحكى مقالتهم أولا حكاية استدرجهم بها إلى سماع حجته على بطلانها، إذ أوهمهم أنه موافق لهم على زعمهم، ثم كر عليه بالنقض، بانيا دليله على قاعدة الحس، ونظر العقل"(٢). وقال ابن كثير: "والحق أن إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، ... بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بلا شك ولا ريب"(٣).

والذي يهمنا في هذا البحث هو التفكير النقدي في هذه المحاورة؛ فإنه تتمثل لنا فيها العديد من مهارات التفكير الناقد ومعاييره وخصائصه، ومنها:

١- **القدرة على معرفة الافتراضات، وفحص الوقائع، وتحري التدرج، والمنطقية في الاستدلال، وتقويم النتائج بتمييز نواحي القوة والضعف،** وهذه كلها من مهارات التفكير الناقد، فإن إبراهيم –عليه السلام– تنزل مع المدعوين في حواره بخطوات متدرجة؛ فأخذ افتراضاتهم المُتَضَمَّنة حول الإله؛ هل هو: الكوكب، أم القمر، أم الشمس؟، ثم قام بفحصها واحدة واحدة، وأظهر نواحي الضعف فيها: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾، لينقلهم بعد ذلك إلى الحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها، والانصياع لها وهي التوحيد: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:٧، ص:٢٦؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ج:٢، ص:٢٣٦.
(٢) محمد رشيد رضا. (١٣٦٧هـ). تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. القاهرة: دار المنار، ط٣. ج:٧، ص:٥٥٨.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:٣، ص:٢٩٢–٢٩٣.

وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩]، فقام بعملية السبر والتقسيم، للوصول إلى القول الحق، فهو تنزل من الداعية ليرفع معه المدعوين، وهذا تنزل وتدرج محمود قام به إبراهيم عليه السلام، فقد كان منطقيا في ترتيب حجته في حواره مع قومه، إبطالا لما توهموه وزعموه من الشرك، حتى لا تبقى لهم شبهة دليل على باطلهم الذي حادوا به عن الدين الحق من توحيد الله سبحانه، وعبادته وحده دون سواه. وهذا كله يتمشى مع التفكير الناقد. فقد تدرج بهم من كوكب إلى أكبر منه وهو القمر، ثم إلى الأكبر وهي الشمس، ثم أبطل لهم بالحجة –وهي أفول هذه الأجرام– بطلان عبادتها، فلا تصلح هذه الأجرام للربوبية؛ فكيف برب يغيب عن عابديه! قال محمد رشيد رضا: "وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ فهو تأكيد لإظهار النصفة للقوم، ومبالغة في تلك المجاراة الظاهرة لهم، وتمهيد قوي لإقامة الحجة البالغة عليهم، واستدراج لهم إلى التمادي في الاستماع بعد ذلك التعريض الذي كان يخشى أن يصدهم عنه"(١). وهنا نلحظ في تعليق محمد رشيد رضا، أهمية مراعاة الطرف الآخر (الخصم) في الحوار، والاستماع لما يظنه من حق، ومجاراته فيما يدعيه، شروعا في إقامة الحجة عليه.

٢- **التساؤل** بأنواعه من وسائل التفكير الناقد التي يتم من خلالها التأكد من صدق المعلومة، والتحقق من ادعاءاتها، وتفادي التحيزات السلبية: كالأهواء، والتقليد الأعمى للآباء والثقافة السائدة في المجتمعات. فقد قال إبراهيم –عليه السلام– لأبيه مستفهما مستنكرا: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾. قال ابن عاشور: "والاستفهام في ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ استفهام إنكار وتوبيخ. والظاهر أن المحكي في هذه الآية موقف من مواقف إبراهيم مع أبيه، وهو موقف غلظة، فيتعين أنه كان عند ما أظهر أبوه تصلبا في الشرك.

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج:٧، ص:٥٦٢. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص:٢٦٢.

وهو ما كان بعد أن قال له أبوه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[مريم:٤٦]، وهو غير الموقف الذي خاطبه فيه بقوله: ﴿يَتَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ الآيات في سورة مريم"(١).

٣- لقد كان إبراهيم-عليه السلام-واضحا مع أبيه وقومه في توصيف المشكلة، صريحا في ذكر الحقيقة، وهذا من معايير التفكير الناقد،﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، هكذا صرح لهم بضلالهم جميعا. قال ابن عاشور: "وفائدة عطف ﴿وَقَوْمَكَ﴾ على ضمير المخاطب مع العلم بأن رؤيته أباه في ضلال يقتضي أن يرى مماثليه في ضلال أيضا؛ لأن المقام مقام صراحة لا يكتفى فيه بدلالة الالتزام، ولينبئه من أول وهلة على أن موافقة جمعٍ عظيم إياه على ضلاله لا تعضد دينه، ولا تشكك من ينكر عليه ما هو فيه..، ووصف الضلال بـ ﴿مُّبِينٍ﴾ نداء على قوة فساد عقولهم حيث لم يتفطنوا لضلالهم مع أنه كالمشاهد المرئي"(٢). فينبغي الالتزام بالوضوح والصراحة لا سيما فيما يتعلق بعرض العقيدة.

٤- ومن خصائص التفكير الناقد العمق في التفكير وعدم السطحية، والاهتمام بوجهات النظر الأخرى، بافتراض صحتها من باب التسليم الجدلي، ثم مناقشتها، وبيان تناقضها، ومخالفتها للحق المبين الذي تقر به العقول المستقيمة، والفطر السليمة. فلذلك جاراهم إبراهيم-عليه السلام-في وجهة نظرهم التي تزعم أن هذه الكواكب آلهة! حتى بيّن لهم في نوع من أنواع المجادلة بطلان هذه النظرية، وهذه خصيصة أخرى من خصائص التفكير الناقد وهي توفير نوع من المجادلة.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٧، ص:٣١٢. وسيأتي الحديث عن آيات سورة مريم في المطلب الثالث.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٧، ص:٣١٤.

فالحوار يتضمن: الاستماع إلى وجهات نظر الآخرين ومناقشة أفكارهم وتمحيصها، وعرض أفكارك عليهم، وهو كذلك وسيلة لإثارة التفكير، وتجريبه، وتعديله، وإغنائه(١). قال الشعراوي: "فكأنه قال: سلمنا جدلًا أنه ربكم، لكنه يأفل ويغيب عنكم، وقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ يعني أنه غير متعصب ضدهم"(٢). فهو يناقش وجهة النظر من غير تعصب، ويفحصها فحصا دقيقا، وهو تأكيد لما تم تقريره آنفا.

وهكذا قطع إبراهيم–عليه السلام–الشرك بالحجة الدامغة، وحطّم تلك الألوهية التي في أذهانهم، وهذا –لا شك– من العمق في التفكير، وتجنب السطحية في إصدار الأحكام، والتميز في معالجة المشكلة، والمنطق السليم، والذي هو أيضا من معايير التفكير الناقد. قال الشعراوي: "وهكذا يثبت له أن كل كوكب –حتى الشمس– مصيره إلى أفول، فكأنه قد وصل بهم بالمنطق إلى أن عبادة الكواكب لا تصلح، واستخدم المنطق الذي يحقق نيته في أن ينكر هذه الربوبية، ويستأنس به آذان من يسمعه"(٣). وهذا يظهر أن إبراهيم–عليه السلام–قد أعمل قواعد التفكير الناقد في حواره مع قومه، ليبين لهم خطأ ما اعتقدوه من باطل، فيقيم عليهم الحجة الرسالية التي بعث بها إليهم.

٥- **الدقة والصراحة والتدرج في بيان الخطأ والضلال، والصدع بالحق،** التي هي من معايير التفكير الناقد كانت واضحة في هذه المجادلة، فقد كان أسلوب إبراهيم–عليه السلام–دقيقا في نقد شركهم، وتزييف آلهتهم، وكما أنه قد تدرج معهم في

---

(١) الحارثي، إبراهيم أحمد. (بدون تاريخ). التفكير والتعليم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ. ص٥٣. نقلا عن: حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم. (٢٠٠٩). التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم. أطروحة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين. ص٩٢.

(٢) الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (بدون تاريخ). خواطري حول القرآن الكريم. القاهرة: مطابع أخبار اليوم. ج:٦، ص:٣٧٥٠.

(٣) الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، ج:٦، ص:٣٧٥٠–٣٧٥١.

الحجة –كما سبق بيانه– فإنه تدرج معهم أيضا في ألفاظه، واستخدم معهم ما يسمى في الجدل بـ (مجاراة الخصم)[(١)]؛ فقد قال: "ابن المنير في: (الانتصاف): والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله: {لا أحب الآفلين}، وإنما ترقى في ذلك لأن الخصوم قد قامت عليهم بالاستدلال الأول حجة، فأنسوا بالقدح في معتقدهم، ولو قيل هذا في الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال، فما عرّض –صلوات الله عليه– بأنهم في ضلالة إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى إتمام المقصود، واستماعه إلى آخره، والدليل على ذلك أنه ترقى النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم، والتقريع بأنهم على شرك بين، ثم قيام الحجة عليهم، وتبلج الحق، وبلغ من الظهور غاية المقصود"[(٢)].

المطلب الثالث

محاورة إبراهيم–عليه السلام–لأبيه آزر[(٣)]

أفردنا محاورته مع أبيه عن المطلب القادم الذي فيه محاورته لأبيه وقومه وتحطيمه للأوثان، لأن سياق الآيات هنا فيه خطابه المباشر لأبيه وحده دون قومه[(٤)].

قال –سبحانه وتعالى– في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ

(١) الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، ج:٦، ص:٣٧٤٩–٣٧٥٠.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج:٧، ص:٥٦١.

(٣) "جمهور أهل النسب، ومنهم ابن عباس، على أن اسم أبيه (تارح) وأهل الكتاب يقولون: (تارخ) بالخاء المعجمة، فقيل: إنه لقب بصنم كان يعبده اسمه آزر. وقال ابن جرير: "والصواب أن اسمه آزر". ولعل له اسمان علمان، أو أحدهما لقب والآخر علم. وهذا الذي قال محتمل، والله أعلم". ابن كثير، قصص الأنبياء، ج:١، ص:١٧٣.

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ج:٤، ص:٣٥٤–٣٥٦.

ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾.

في هذا الموقف قام الصّدّيق النبي الخليل إبراهيم –عليه السلام– بدعوة أبيه إلى الحق، ومحاورته ومجادلته بألطف عبارة، وأحسن إشارة، واستعطفه في البداية بمناداته بـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ليفتح الوالد قلبه لابنه، ويتيقن أن الابن لا يريد بوالده شرا، بل يريد الخير كل الخير له، فلا تظنن يا والدي أني أريد لك سوءا، ثم ابتدأ بمحاورته محاورة عقلية، وجاء بالحجج التي تبطل ما عليه والده من العبادة الباطلة، فجمع –عليه السلام– بين العاطفة والعقل من غير أن تطغى العاطفة على العقل فتغطيه؛ فإن التفكير النقدي يفصل العاطفة عن العقل أن تؤثر فيه فتحرفه عن مساره. وفي هذه المحاورة من التفكير الناقد ما يلي:

١- **التساؤل** الذي يؤدي للوصول إلى الحقيقة؛ فقد قال إبراهيم –عليه السلام– لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾، وهذا من استخدام التفكير الناقد، والمنطق السليم، فكيف تعبد من لا يسمع دعاءك، ولا يبصر مكانك، ولا يغني عنك شيئا!، هذا استفسار من إبراهيم –عليه السلام– عن شيء يبدو غير معقول أو غير منطقي، فكيف تعبد من تتحقق فيه صفات النقص والعيب، وهو أدنى منك؟! إنه سؤال في باطنه الجواب. وهذا من خصائص المفكر الناقد، وهو طرح الأسئلة التي تثير عقل المخاطب، والتي توصله إلى

أحكام صحيحة، ومعتقدات سليمة، فلم يخاطبه بقوله: (لا تعبد)، وإنما أخرج الكلام معه مخرج السؤال لا الأمر(١).

وفي كلام إبراهيم–عليه السلام–إشارة إلى أن المستحق للعبادة من له صفات الكمال، الذي يدفع عن عباده النقم، ويجلب إليهم النعم، قال السعدي: "فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن؛ عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى"(٢).

وقال الفخر الرازي: "واعلم أنه عاب الوثن من ثلاثة أوجه. أحدها: لا يسمع. وثانيها: لا يبصر. وثالثها: لا يغني عنك شيئا، كأنه قال له: بل الإلهية ليست إلا لربي، فإنه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصر، كما قال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه: ٤٦] ويقضي الحوائج: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل: ٦٢]"(٣).

فكان في تساؤله –عليه السلام– غاية الإلزام العقلي للمشرك الذي خالف باعتقاده الباطل ما دل عليه الوحي، والعقل السليم، والفطرة المستقيمة.

٢- **توفير البدائل**، حيث انتقل إبراهيم الخليل –عليه السلام– ليعطي أبيه آزر بديلا وحلا لمشكلة الشرك، فقال: ﴿إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا﴾، فالبديل عن التقليد الأعمى للآباء والأجداد هو اتباع العلم والهدى والحجة التي أوتيها هذا النبي الصّدّيق عليه السلام. وهذا أيضا من خصائص

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٤٠هـ). بدائع الفوائد. تحقيق: د. علي العمران. الرياض: دار عطاءات العلم، ط٥. ج:٣، ص:١٠٦١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص:٤٩٤.

(٣) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣. ج:٢١، ص:٥٤٣.

المفكر الناقد، وهو إعطاء البديل. وقد تلطف معه إبراهيم-عليه السلام-في ذكر هذا البديل، فلم يصفه بالجهل، ولم يتكبر عليه بالعلم؛ "وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى، فإنه لم يقل: (يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل)، أو (ليس عندك من العلم شيء)، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها"(١).

٣- ومن معايير التفكير الناقد وهو من أهمها: الوضوح، فقد كان عليه السلام، واضحا في عبارته وخطابه، واضحا في حجته وبرهانه، واضحا في نصيحته، واضحا في توضيح خطأ أبيه،﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[مريم:٤٤-٤٥]، كان يواجه أبيه بالحقيقة المؤلمة بكل وضوح، وهذا مما ينبغي أن يتوفر في الداعية -خصوصا في مسائل الاعتقاد- فلا يغش المدعوين بإخفاء الحقيقة عنهم، والسكوت عن أمراضهم المستعصية، وعدم تحديد مشكلاتهم بكل وضوح، وللأسف أن يتم مثل ذلك بدعاوى زائفة كالتقارب، وكسب المدعوين، ونحوها، فكيف تهديهم وأنت تخفي حقيقة مشكلتهم ولم تصدقهم القول؟ فإذا لم يعرفوا منك حقيقة المرض؛ فكيف يقومون بالعلاج؟ بل هذا يجعل المرض يتفاقم ويتعاظم، وهو من الغش وعدم النصح.

وهذا الوضوح في عرض الحجة، ومناقشة المخالف، ومصادمة المدعوين بالحقائق المرة؛ يحتاج إلى أسلوب لطيف، وإلى تدرج في الحجة، وهو ما كان متمثلا هنا في محاورة إبراهيم -عليه السلام- لأبيه من خلال أمرين:

الأول: الأسلوب العاطفي البارز في هذه المحاورة، فقد رأيت كيف يكرر نداء الحب، والعطف، والحنان: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ليستدر عطف والده، وليثبت لوالده صدقه في دعوته،

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص:٤٩٤.

وخوفه عليه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، لم يقل أخاف أن يقع عليك العذاب، بل يخاف عليه مجرد المس، ولكن جاء الرد من الوالد قاسيا: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾، وما زال الابن بعاطفته الجياشة يقول: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾، سيدعو لمن هجره وتوعده بالرجم! أسلوب عاطفي بديع، ولكنه لا يطغى على الحقائق فيخفيها، ولا يتسلل إلى النصح فيحرفه، حيث إن من خصائص المفكر الناقد الفصل بين التفكير العاطفي والتفكير المنطقي، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهو ما فعله الخليل إبراهيم عليه السلام.

والثاني: ترتيب الحوار والتسلسل في إيراد الحجة، والانتقال شيئا فشيئا، فإننا نلحظ أنه لم يقُلْ مباشرة: لِمَ تعبد الشيطان؟ بل أخّر هذه الحقيقة إلى نهاية المحاورة، وتدرج بدعوة أبيه بالأسهل فالأسهل(١)، قال فخر الدين الرازي: "واعلم أن إبراهيم–عليه السلام–رتب هذا الكلام في غاية الحسن؛ لأنه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، ثم إنه–عليه السلام–أورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق؛ فإن قوله في مقدمة كل كلام ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ دليل على شدة الحب، والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وختم الكلام بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه.."(٢).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص:٤٩٤؛ الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، ج:١٥، ص:٩٠٩٧، ٩١٠٠.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج:٢١، ص:٥٤٥.

المطلب الرابع

محاورة إبراهيم -عليه السلام- لأبيه وقومه وتحطيمه الأوثان

قال الله عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

وفي سورة الشعراء قال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

وجاء في سورة الصافات قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

ذُكرت لنا –في هذه المواضع الثلاثة– قصة إبراهيم في محاورته العقدية مع قومه وأبيه، وتحطيمه للأوثان، وقد بيّن الله سبحانه في أول هذه القصة أنه هدى إبراهيم، وآتاه الحجة على قومه في صغره، ووفقه للنظر والاستدلال(١)، ويحاول الباحثان توجيه النظر إلى التفكير النقدي في هذه المحاورة العقدية من خلال التالي:

١- **التساؤل؛** حيث ابتدرهم إبراهيم –عليه السلام– بسؤاله متهكما فيما يعظمونه، لتنفتح لهم أبواب الشك في أوثانهم ومعبوداتهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾، ولكنهم أجابوه بالتقليد للآباء والأجداد الذين كانوا يعكفون على عبادة هذه الأوثان: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

فالتقليد ليس عاصما من الخطأ، والباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين فيه(٢)، "والِاسْتِفْهامُ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿ما هَذِهِ التَّماثِيلُ﴾ يَتَسَلَّطُ عَلى الوَصْفِ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿الَّتِي أنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾ فَكَأنَّهُ قالَ: ما عِبادَتُكم هَذِهِ التَّماثِيلَ؟. ولَكِنَّهُ

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:١١، ص:٢٩٦.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج:٢٢، ص:١٥٢.

صِيغَ بِأُسْلُوبِ تَوَجُّهِ الِاسْتِفْهامِ إلى ذاتِ التَّماثِيلِ لِإبْهامِ السُّؤالِ عَنْ كُنْهِ التَّماثِيلِ في بادِئِ الكَلامِ إيماءً إلى عَدَمِ المُلاءَمَةِ بَيْنَ حَقِيقَتِها المُعَبَّرِ عَنْها بِالتَّماثِيلِ وبَيْنَ وصْفِها بِالمَعْبُودِيَّةِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِعُكُوفِهِمْ عَلَيْها. وهَذا مِن تَجاهُلِ العارِفِ اسْتَعْمَلَهُ تَمْهِيدًا لِتَخْطِئَتِهِمْ بَعْدَ أنْ يَسْمَعَ جَوابَهم فَهم يَظُنُّونَهُ سائِلًا مُسْتَعْلِمًا ولِذَلِكَ أجابُوا سُؤالَهُ بِقَوْلِهِمْ ﴿وجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾؛... وجاءُوا في جَوابِهِ بِما تَوَهَّمُوا إقْناعَهُ بِهِ وهو أنَّ عِبادَةَ تِلْكَ الأصْنامِ كانَتْ مِن عادَةِ آبائِهِمْ فَحَسِبُوهُ مِثْلَهم يُقَدِّسُ عَمَلَ الآباءِ ولا يَنْظُرُ في مُصادَفَتِهِ الحَقَّ"[(١)].

وأيضا قال لهم سائلا متعجبا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، " أي كيف تعبدون أصناما أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة، وتصورونها وتشكلونها كما تريدون﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ... فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون، وهذه الأصنام مخلوقة، فكيف يعبد مخلوقٌ مخلوقًا مثله؟! فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم، وهذا باطل، فالآخر باطل للتحكم؛ إذ ليست العبادة تصلح ولا تجب إلا للخالق وحده لا شريك له"[(٢)]. وهذا كله من خصائص التفكير الناقد، وهو توفير العادات العقلية المهمة مثل: التشكك، والعقل المتفتح، وطرح الأسئلة المتضمنة للإجابات والبراهين العقلية، لعلهم يرجعون إلى رشدهم.

٢- **الوضوح والصحة؛** فقد كان إبراهيم-عليه السلام-واضحا صريحا معهم في كشف الحقيقة ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حيث قال لهم إنكم ومن تقلدون في ضلال مبين، وإنهم جميعا أعداء له سوى رب العالمين، ووضّح لهم هذا الضلال المبين؛ إذ كيف تعكفون على عبادتهم وهم لا يسمعون دعاءكم، ولا ينفعونكم ولا يضرونكم؟ وقالها لهم بصيغة السؤال ليحرك عقولهم، ويبدد ظنونهم في تلك الأوثان، ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:١٧، ص:٩٤-٩٥.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن محمد. (١٩٩٧). البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله التركي. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١. ج:١، ص:٣٣٦-٣٣٧.

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾، فهذا وضوح منه متضمن لأدلة صحيحة حول بطلان عبادة تلك الأوثان؛ لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر، فمن معايير التفكير الناقد بالإضافة إلى الوضوح: صحة الأدلة والبراهين، وتحري الصواب، ولا يتم ذلك إلا بالتحرر من موانع ومعوقات التفكير الناقد؛ كالهوى، والتحيزات، والتقليد الأعمى.

ومن وضوحه وصراحته: إعلانه لهم أنه يتخذ هذه الأوثان وما تعبدون عدوا إلا رب العالمين وذلك لأنهم يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان، وهذا من الوضوح في الأدلة التي يقيمها على بطلان عبادة تلك الأوثان، قال ابن كثير: "وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية ما ادعوه من الأصنام؛ لأنه تبرأ منها، وتنقص بها، فلو كانت تضر؛ لضرته، أو تؤثر؛ لأثرت فيه"(١).

ومن مشاهد الوضوح والصحة ما تضمنه تحطيم الأصنام من بطلان ألوهيتها؛ فإنها لا تملك أن تدفع عن نفسها السوء، قال ابن كثير: "وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون، وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء"(٢). لقد نجح إبراهيم –عليه السلام– في إغراقهم بالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، والأسئلة التي تثير عقولهم، وتستفز تفكيرهم، فقابلوه برفضهم التسليم للحق، والإذعان له، واتباعه، لتمسكهم بالتقليد الأعمى الذي يعد من أهم موانع ومعوقات التفكير الناقد.

٣- **العمق في حل المشكلات؛** فلم يتوقف إبراهيم–عليه السلام– عند تقليدهم الأعمى وتمسكهم به، بل بادر إلى تحطيم هذه الأوثان ليظهر لهم أمام أعينهم أنها لا تستطيع فعل شيء أبدا، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج:١، ص:٣٣٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج:١، ص:٣٣٥.

فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. لقد كان إبراهيم –عليه السلام– منطقيا في الانتقال من المحاجة إلى القيام بتحطيم الأصنام لتصل لهم الرسالة وتقام عليهم الحجة بأبلغ معنى، وأوضح طريق، ثم بعد غضبهم وسؤالهم: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾؟ أجابهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾، فلم يكن جوابه مباشرا، بل جعلهم يكتشفون بأنفسهم الجواب من خلال إعمال عقولهم، فـ"إن استخدام أسلوب الاستكشاف يسهل وصول الإنسان من خلال تفكيره إلى المعلومة الصحيحة إذا التزم بتوجيهات معينة، ووجدت الآليات المثيرة كما في قصة إبراهيم –عليه السلام– مع قومه حتى توصلوا إلى المعلومة الصحيحة دون أن يمليها عليهم نبي الله إملاء، وهو يبين أن هذا الأسلوب يثير العمليات العقلية، ومن خلاله تنبثق تساؤلات كثيرة يُفَعِّل التفكير الذي يمكن من خلاله الوصول إلى الجواب الصحيح"(١).

٤- **الاهتمام بوجهات النظر الأخرى ومناقشتها، وتحريك العقول نحو الاستنباط والاستنتاج؛** فإن إبراهيم–عليه السلام–أثار عليهم الكثير من التساؤلات التي دعتهم في أول وهلة للنظر والتفكر، ولكن التقليد الأعمى منعهم من استمرار ذلك، فرجعوا إلى ما كانوا عليه، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾، "قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: {ثم نكسوا على رءوسهم} أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم"(٢).

فنلحظ هنا أن الأدلة والبراهين القولية والعملية التي وجهها إليهم إبراهيم –عليه السلام– في محاورته العقدية، أعادتهم إلى عقولهم ولو شيئا قليلا، وهذه من

(١) حنايشة، التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، ص٩٤.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤١٧هـ). تفسير البغوي معالم التنزيل. تحقيق: عثمان ضميرية، وآخرون. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٤. ج:٥. ص:٣٢٦.

خصائص المفكر الناقد أن يحرك العقول، ويهتم بالاستنباط والاستنتاج، فقد جعلهم يستنتجون ويستنبطون أن هذه الأصنام لا تنطق، ولكنها ظلمات الجاهلية التي غمرت قلوبهم، فنكسوا على رؤوسهم.

كما نلحظ أيضا الاهتمام بوجهات النظر الأخرى وهو من خصائص التفكير الناقد، فكأن إبراهيم –عليه السلام– قال بما أنكم تعبدون هذه الآلهة، وترجونها، وترهبونها، وتدعونها، ظانين أنها تسمع وتنطق، فلنأخذ وجهة نظركم هذه على محمل الجد، ولنجرب تحطيمها، واسألوها أنتم بعد ذلك عما حصل لها، هل تجيبكم؟ ولماذا لم تدفع عن نفسها؟ إذن فكيف تصلح للعبادة؟ والنتيجة التي توصل لها: أن وجهة نظركم هذه غير صحيحة ولا منطقية، بل هي الشرك والباطل.

٥- **توفير مساحة من المجادلة والمناقشة،** والتي هي من خصائص التفكير الناقد، حيث قال لهم: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، ففتحت لهم آفاق التفكير من خلال الحوار والمجادلة، فاعترفوا أنهم هم الظالمون، واعترفوا أيضا أن هؤلاء لا ينطقون، وهو ما أراد إبراهيم–عليه السلام–أن يوصله إليهم من خلال هذا الفعل، إنكم ظالمون في تلك العبادة لأن حقها أن تصرف لله وحده لا للأوثان، وأن هذه الأوثان لا تصلح للعبادة، فهي لا تنطق، ولا تنفع ولا تضر. وهذا يعتبر أيضا من توفير الإجراءات، وتطبيق المعايير، والتي يتمثل أهمها في طرح الأسئلة، والتوصل إلى أحكام، وتحديد الافتراضات. وكل ذلك من خصائص التفكير الناقد.

لقد تمثلت في هذه المجادلة كثير من معايير وخصائص التفكير الناقد، مثل: الوضوح في الأدلة فهي مفهومة ومتنوعة بين القولي والعملي، وطرح الأسئلة، وإثارة التفكير، والصحة في البراهين فلا يمكن ردها، والدقة والعمق في معالجة هذه المشكلة، فقد أعطى المشكلة حقها من المعالجة والجهد، وتنبأ في أنهم سيسألونه عن تحطيم الأصنام، فأحالهم إليها. وقد كان منطقيا في حجته، ومرتبا في أدلته وانتقاله من القولي إلى العملي، وأيضا منطقيا في إحالتهم إلى الأصنام ليسمعوا جوابها إن كانت تنطق، فيعرفوا بطلان ما هم عليه.

الخاتمة

ونذكر فيها أهم النتائج والتوصيات.

النتائج:

١- تتجلى لنا في قصة الخليل إبراهيم -عليه السلام- ومحاوراته مع أبيه وقومه شخصيته المتسائلة ذات التفكير النقدي المتميز، التي تحب الحق وتتبعه، وتسلم له، وتتجنب التقليد الأعمى، والتحيز السلبي السائد في المجتمع.

٢- من معايير التفكير الناقد التي ظهرت في المحاورات العقدية للخليل إبراهيم عليه السلام: الوضوح، والصحة، والدقة، والعمق، والربط، والاتساع، والمنطق، والتساؤل، والتأمل.

٣- من خصائص التفكير الناقد التي ظهرت في المحاورات العقدية للخليل إبراهيم عليه السلام: توفير القابليات أو العادات العقلية المهمة، وتوفير نوع من المجادلة، والاهتمام بالاستنباط والاستنتاج، والاهتمام بوجهات النظر الأخرى، وتوفير الإجراءات، وتطبيق المعايير والتي يتمثل أهمها في طرح الأسئلة، والتوصل إلى أحكام، وتحديد الافتراضات.

٤- استخدام التفكير النقدي يوصلنا إلى الحقائق التي لا مجال لإنكارها، ويعطينا قوة في المحاجة والمجادلة، ويدعونا للتشكيك في وجهات النظر التي لا تقوم على معايير صحيحة، ويدعونا إلى طرح الأسئلة المسترشدة، للتوصل إلى الحقيقة.

٥- كثير مما يندرج تحت (التفكير النقدي) يدعو إليه القرآن الكريم، خصوصا من خلال عرضه لقصص الأنبياء وحواراتهم مع أقوامهم، ومنها حوارات إبراهيم -عليه السلام- العقدية التي تم عرضها. وقد أمرنا الله عز وجل بالاقتداء بالأنبياء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام ٩٠].

٦- العقل وحده لا يكفي في الاهتداء للحق من غير هدى الله ونوره، فعلى الرغم من إقامة الحجة على قوم إبراهيم ووضوحها لديهم واعترافهم بها لأول وهلة إلا أنهم

نكسوا على رؤوسهم وارتكسوا في ضلالهم وظلماتهم؛ لأنه من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

التوصيات:

١- دراسة المحاورات العقدية للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، واستنباط كل معايير وخصائص التفكير الناقد وتقنينها للاستفادة منها وتطبيقها في المحاورات العقدية خصوصا مع المخالفين.

المصادر والمراجع

١. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري.** تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة "مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي". ط:١.

٢. البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤١٧هـ). **تفسير البغوي معالم التنزيل.** تحقيق: عثمان ضميرية، وآخرون. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٤.

٣. البكر، رشيد بن النوري. (٢٠٠٤). **مدى تنمية معلم العلوم الشرعية لمهارات التفكير الناقد** لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية. رسالة الخليج العربي.

٤. الجبوري، شروق. (٢٠١٣). "**تصميم وتقنين مقياس للتفكير الناقد مستنبط من القصص القرآني**". رسالة دكتوراه مقدمة لكلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

٥. الحارثي، إبراهيم أحمد. (بدون تاريخ). التفكير والتعليم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ.

٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد. (٢٠٠٦). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري.** تحقيق: نظر محمد الفاريابي. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١.

٧. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٤٠هـ). **بدائع الفوائد**. تحقيق: د. علي العمران. الرياض: دار عطاءات العلم، ط٥.

٨. حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم. (٢٠٠٩). **التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم**. أطروحة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

٩. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٣١٢هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان الداودي. دمشق–بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١.

١٠. السعدي، عبد الرحمن. (٢٠٠٠). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

١١. الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (بدون تاريخ). **خواطري حول القرآن الكريم**. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

١٢. الشنقيطي، محمد الأمين. (١٤٢٦هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. ط١.

١٣. أبو الشيخ الأصفهاني، عبد الله بن محمد الأنصاري. (١٤٠٤هـ). **العظمة**. تحقيق: رضاء الله المباركفوري. الرياض: دار العاصمة، ط١.

١٤. صالح يس، عمرو. (٢٠١٥). **التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها**. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١.

١٥. الطوفي، نجم الدين الحنبلي. (١٩٨٧). **عَلَم الجذل في علم الجدل**. تحقيق: فولفهارت هاينريشس. فيسبادن ألمانيا: فرانز شتاينر.

١٦. ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.

١٧. ابن عبد البر، يوسف. (١٤٣٥هـ). **جامع بيان العلم وفضله**. تحقيق: أبو الأشبال الزهيري. السعودية: دار ابن الجوزي، ط١١.

١٨. عثمان علي حسن. (٢٠١٥). **منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد**. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون. ط١.

١٩. ابن عثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢٣هـ). **تفسير الفاتحة والبقرة**. السعودية: دار ابن الجوزي، ط١.

٢٠. عفاف الشمري، وهياء آل الرشيد. (٢٠٢١). "**التفكير الناقد**". ورقة بحثية منشورة بالمجلة العربية للنشر العلمي (ajsp) في آذار مارس.

٢١. العنود الشراري. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨). **أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات التفكير الناقد** لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمنطقة الجوف. رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم المناهج وطريق التدريس في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٢٢. الغامدي، عبد الله بن محسن. (٢٠١٩). **مناظرات ابن تيمية العقدية** جمعا ودراسة وتحليلا. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط١.

٢٣. ابن فارس، أحمد القزويني. (١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، ط٢.

٢٤. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (١٤٢٠هـ). **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٢٥. الفيومي، أحمد بن محمد. (١٩٧٧). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي. القاهرة: دار المعارف، ط٢.

٢٦. القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤). **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.

٢٧. ابن القيم. (١٤٣٢هـ). **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١.

٢٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٢٧هـ). **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**. تحقيق: نايف الحمد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١.

٢٩. الكبيسي، عبد الواحد، حميد. (٢٠٠٦). **دعوة للتفكير من خلال القرآن الكريم**. عمان: دار ديبونو.

٣٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٦٨). **قصص الأنبياء**. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. القاهرة: مطبعة دار التأليف، ط١.

٣١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.

٣٢. ابن كثير، إسماعيل بن محمد. (١٩٩٧). **البداية والنهاية**. تحقيق: عبد الله التركي. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١.

٣٣. محمد رشيد رضا. (١٣٦٧هـ). **تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ تفسير المنار**. القاهرة: دار المنار، ط٣.

1. Badi, Jamal, Islam and Creative Thinking: Concepts and Issues, IIIT, 2018. Chapter 3, Pp.33-48.

2. Linda Elder and Richard Paul: Intellectual Standards, Foundation for Critical Thinking, CA, 2008, P.12.

3. The California Academic Press, 217 La Cruz Ave., Millbrae, CA 94030. 1990,